تاريخ الفلسفة
وايتهيد ولاهوت العملية 62
بقلم الدكتور آرثر هولمز من كلية ويتون

هل استلم الجميع نسخة من تعليمات مراجعات الكتب بنهاية الفصل الدراسي؟ هذه هي المرة الثالثة التي أطلب فيها هذه التعليمات، مما يعني أنكم فوّتم مرتين .دعونا نرى، من كان موجودًا أيضًا؟ هل من أحد هنا؟ .حسنًا .حسنًا، نعود اليوم إلى وايتهيد

وأود التركيز بشكل خاص على مفهوم وايتهيد لله .ولكن لتحقيق ذلك، علينا أن نفهم منظومته الفلسفية الشاملة، ولا سيما ميتافيزيقاه .فمن البديهي، كما أعتقد، أن كيفية تصور المرء لله وعلاقته بالطبيعة تعتمد بشكل كبير على المنظومات الميتافيزيقية، أي أن مفهوم الله مرتبط بالمنظومة الفلسفية من هذا المنطلق.

،إن مفهوم الإله مرتبط بالنظام، نعم، لأن تصورك للإله في علاقته بالطبيعة يعتمد على تصورك للطبيعة وهذا واضح تمامًا .وفي المرة الماضية، كنا نتناول وايتهيد .وكنت أؤكد على حقيقة أن وايتهيد يرى أن .المكونات الأساسية للواقع ليست مواد ذات هوية ثابتة لا تتغير، بل أحداث

قد تكون الأحداث لحظية للغاية، كأن تستغرق جزءًا من خمسين جزءًا من الثانية .جزء من خمسين جزءًا من .الثانية صغير جدًا .وهو يميل إلى تسمية هذه الأحداث الصغيرة بالمناسبات الحقيقية

ويحتفظ بكلمة "حدث"، وأحيانًا كلمة "كيان) "أو "كيانات فعلية("، للأحداث واسعة النطاق .ولكن سواءً أكان الحديث عن أحداث صغيرة جدًا أو أحداث ضخمة ، مثل هذه الحصة الدراسية، أو تعليمك الجامعي، أو تاريخ الولايات المتحدة، فإن كلًا منها يُمثل حدثًا مختلفًا في حجمه ومدته .ومهما كان الحدث الذي نتحدث .عنه، يمكن وصف جميع الأحداث بثلاثة عناصر أساسية، أو ثلاثة عوامل

وكما ذكرنا سابقًا، فإن هذه العوامل الثلاثة هي البيانات الموضوعية، والتي تُعدّ في جوهرها أسبابًا، أو أسبابًا فعّالة إن صح التعبير، وبيانات موضوعية، وإمكانيات لا متناهية، والقرار .وأكرر هذا لأهمية فهمه .فإذا .تخيلنا عملية جارية، فما الذي يُطلق حدثًا جديدًا؟ إن ما يُطلق هذا الحدث الجديد هو التقاء عمليتين

،تتقاطع البيانات الموضوعية للعملية الثانية مع الأوضاع القائمة في العملية الأولى .عند نقطة التقاطع هذه .توجد بيانات موضوعية ستُحدث فرقًا .تقول إن هذه آلية سبب ونتيجة

نعم .وبما أن النموذج الأساسي لكل هذه الأمور ما بعد التيار هو الوعي البشري، ففي الوعي البشري، نقول إننا ندرك البيانات الموضوعية من خلال ما يسميه لايبنتز بالإدراك المادي .والإدراك، بالطبع، مصطلح من .مصطلحات لايبنتز

،إنها اختصار لكلمة "الإدراك"، أو "الفهم "إن شئت .لكن الإدراك يعني ببساطة قبول شيء ما، والوعي به .وتأثيره عليك .ويشير إلى أن الإدراك قد يكون إيجابياً أو سلبياً

الفهم الإيجابي، حيث تقبل التأثير وتستوعبه .الفهم السلبي، حيث ترفضه ببساطة، أو تتجاهله، أو تنأى .بنفسك عنه .سترى

لكن الحدث الجديد، بفضل البيانات الموضوعية التي يمكن إدراكها ماديًا، هو تجربة وجدانية وليست معرفية .لذا ينتقد النظريات التمثيلية للمعرفة عند فلاسفة مثل ديكارت ولوك وبيركلي وكانط، قائلًا إنها تُعطي

الأولوية للمعرفي، للمفهوم، للفكرة .وأن أول ما يُحفز التجربة الإدراكية، الحدث الإدراكي، ليس الفكرة بل المُحفز السببي.

الجانب العاطفي، لا المعرفي .وهذه التجربة الإدراكية هي النموذج الأمثل لجميع الأحداث من جميع الأنواع الأخرى .حتى أنه في الكائنات اللاواعية، يوجد ما يعادل الإدراك الجسدي بدرجة منخفضة.

أي آلية السبب والنتيجة .سترى ذلك .إذن، الإدراك الحسي.

الاحتمالات الأبدية هي ببساطة احتمالات مجردة ومنطقية، تُفعَّل، إن صح التعبير، بفضل البيانات الموضوعية .ما هو أثر هذه البيانات الموضوعية، هذه التجربة الجديدة؟ حسنًا، قد تسلك مسارات مختلفة، احتمالات بديلة .سترى.

وتلك الاحتمالات الأبدية في التجربة الواعية، بطبيعة الحال، هي أفكار، تُدرك بما يسميه الإدراك المفاهيمي. وهو، بوضوح، إدراك معرفي .لذا، فالفكرة ليست هي الشيء الأساسي، كما كان الحال عند ديكارت ولوك وكانط، وكأنك في التجربة تتعرض لوابل من الأفكار.

لا، كان هيوم أكثر دقة .إنه قوي وحيوي في حضوره .والأفكار تتبعه.

الأولوية للجانب العاطفي، وليس المعرفي .لذا، لديك احتمالات لا نهائية .وهو يدرك أنه إذا كانت احتمالات منطقية، فهي نوعاً ما احتمالات منطقية موضوعية.

بمعنى آخر، في طبيعة الأشياء، توجد هذه الاحتمالات المنطقية .إنها ليست شيئاً نخترعه .نحن لا نخترع الاحتمالات.

قد نُحقق الاحتمالات، لكننا لا نخترعها .قد نُدركها، لكننا لا نخلقها .لذا، بهذا المعنى، فإن الاحتمالات موجودة، سواء أدركنا ذلك أم لا.

إنها احتمالات موضوعية .ولذا تجده، في كتاباته اللاحقة على وجه الخصوص، يسميها أشياءً أبدية .بمعنى أنها أشياء فكرية، كما أن الأفكار أشياء عند لوك.

إنها موضوعات فكرية .احتمالات موضوعية ندركها .لذا، استجابةً لهذا المحفز السببي للبيانات الموضوعية، تنشأ جميع أنواع الاحتمالات، التي ندركها في العمليات الواعية، بينما تظل موجودة في العمليات اللاواعية.

لا تزال تلك الاحتمالات قائمة، سواء أكان هناك من يعلم ماهيتها أم لا .ومن بين هذه الاحتمالات، ما يحدد المستقبل هو ما يسميه القرار .وفي الوعي البشري، غالباً ما يكون قراراً واعياً.

هذا ما سأفعله بالمسلمات الجديدة .قرار واعٍ .ولكن حتى في العمليات اللاواعية، البيولوجية والفيزيائية وما إلى ذلك، هناك نقطة فاصلة، وانتقائية متضمنة.

حيث لا يمكن تحقيق جميع الاحتمالات، فإن بعضها يحدث بشكل طبيعي .وهذا القرار هو ما يُحدد ما يُسميه بالهدف الذاتي، لأن الاحتمال المُختار في هذا القرار يُصبح هو الهدف المنشود.

هذا ما ستسعى إليه .ستُحقق تلك الإمكانية .أترى؟

الآن، الهدف الذاتي الأولي هو ما تُحدده العملية السببية الطبيعية .لنفترض، بالنظر إلى هذه البيانات ، أن النتيجة هي كذا وكذا .وفي أي عملية يتم تحديدها، فإن الهدف الذاتي الأولي هو ببساطة الهدف الذاتي لهذا الحدث الجديد.

ذاتي بمعنى أنه يصبح غاية جوهرية للحدث الجديد بفضل البيانات الجديدة التي تم استيعابها فيه .إنه جوهري .لاحظ أنه يقدم تفسيراً غائياً لكل شيء.

تفسير غائي .إنه ليس كوناً آلياً، بل كوناً غائياً.

أما في حالة الكائنات الواعية، فقد يتحول ذلك الهدف الذاتي الأولي إلى هدف ذاتي معدل .هدف ذاتي معدل، بحيث يمكنك مقاومة تأثير شيء ما عليك والتعامل مع المدخلات الجديدة بطريقة أخرى.

وبالطبع، حتى كلبك الأليف يقاوم ندائك، وصفيرك أحيانًا ، وينطلق لمطاردة قطة الجيران .يتحول الهدف الذاتي الأولي إلى هدف ذاتي معدل عندما يشم رائحة القطة .لطالما اعتقدت أن الكلاب تشم قبل أن تنظر.

ينطبق المثل القائل "تأنَّ قبل أن تُقدم "على الكلاب تمامًا في هذا السياق .فبعض البشر، في رأيي، يُقدمون على خطوة قبل أن يُمعنوا النظر .والكلاب تشمّ قبل أن تنظر، وهكذا دواليك.

لكن المظهر قد يُضفي هدفًا شخصيًا مُعدَّلًا .إذن، الهدف الشخصي الأولي والهدف الشخصي المُعدَّل .وهكذا يكون الحال في جميع المناسبات.

وكما ذكرتُ سابقاً، هناك تدرّجٌ يجعل هذا الأمر، بدرجات متفاوتة، واعياً أو غير واعي في شتى جوانب الحياة. أما مفهوم الهدف الذاتي فهو غائيّ .إلى أين يقودنا هذا؟ حسناً، يقودنا إلى إتمام الحدث.

أترى ؟ وعندما تتحقق الإمكانية الكامنة في هذه البيانات الجديدة، حينها يكون الحدث قد اكتمل .الأمر أشبه بعملية وراثية، ولنجرب الاستعارة البيولوجية :عملية وراثية.

لذا، يحدث الحمل، ليس بالمعنى الإدراكي بل بالمعنى البيولوجي .يحدث الحمل نتيجة للمحفز السببي. يحدث الحمل.

لديك عملية تطورية تتضمن ظهور الاحتمالات واختيارها خلال مراحل النمو الجنيني، إن صح التعبير .إلى أن يولد الحدث الجديد مع اتخاذ القرار وتحقيق الهدف الذاتي في مرحلة النضج .وبعد ذلك، بطبيعة الحال، يتلاشى الحدث الناضج تدريجياً ليحل محل البيانات.

أترى ؟ يمكنك أن تنظر إلى الأمر على أنه ولادة، ونضج، وموت، مما يُفضي إلى ولادة، ونضج، وموت .أليس هذا جدلاً؟ هيغل؟ أجل .أطروحة، نقيض، تركيب.

أترى ؟ يكمن تأثير التراث الهيغلي في هذا الفهم الكامل لمسار العالم .فمسار العالم برمته هو أمر جدلي، وله بنية جدلية.

تُحفظ البيانات الموضوعية ، لكنها تتجاوزها إمكانيات جديدة تُتيحها .أترى ؟ في عملية التركيب .حسنًا، يؤدي إتمام الحدث، إذن، إلى ما يسميه الرضا.

الرضا .ولاحظ مرة أخرى أن هذا مصطلح مستمد من التجربة الإدراكية الواعية .إنه النموذج السائد.

هل تفهم ما أقصده بالنموذج؟ لديك نماذج أفعال معينة في اللغة الأجنبية .كما ترى، إذا أردت معرفة كيفية .تصريف فعل ما، فإنك تعود إلى النموذج .أعرف عقلًا عبقريًا، عقلًا عبقريًا

.بالفرنسية .وهكذا دواليك .أترى ؟ إذن، التجربة الإدراكية الواعية هي النموذج

.وفي التجربة الإدراكية، يكمن الرضا في الشعور بالرضا عندما لا ترى شيئًا إلا نادرًا، إذ تتاح لك فرصة استيعابه .ومن هذا الرضا يجد وايتهيد الرضا الجمالي .والجمالي هنا، في الأصل، بالمعنى الجرماني القاري للرضا الحسي

الإستانامي "بالحواس؛ فجماليات كانط المتعالية مرتبطة بالحواس أيضاً .ولكنه جمالي أيضاً بالمعنى اللغوي" الإنجليزي، أي الرضا الجمالي .كيف تصف هذا الرضا الجمالي، الذي يمثل ذروة التجربة؟ حسناً، هو أن كل .شيء في الحدث، هذه العناصر الثلاثة، تتضافر لتخلق وحدة متكاملة

بحيث يكون الحدث شعوراً واحداً، وتجربة واحدة .لاحظ الآن كيف نستخدم مصطلح "تجربة "في هذا !السياق .قد تكون هذه أول مرة تتذوق فيها فطيرة البقان؛ يا لها من تجربة

قد يكون الأمر متعلقًا بأربع سنوات من التعليم الجامعي ، أو تجربة ويتون .هل فهمت؟ وقد يكون الأمر كذلك أنه في نهاية مرحلة ما من التاريخ البشري، ينظر المؤرخ إلى الوراء ويقول :إن ذلك التاريخ برمته كان .تجربة إنسانية .فريدة، ذات هوية خاصة بها تُضفي شعورًا بالوحدة

أترى ؟ إذن، هذا الرضا هو وحدة منظمة، وتناغم بين المتناقضات .متناقضات ؟ نعم، تناقضات الواقع .والإمكانية .شدة الشعور المرتبطة بالتناغم المنظم للمكونات المتضادة ضمن التجربة الكلية

كما تعلمون، هكذا يصف البعض تجربة الجمال في الفنون .أترون ؟ التناقضات تتناغم في تلك اللحظة الأخيرة حيث تجمع السيمفونية كل شيء .هل تساءلتم يوماً كيف يعرف الجميع متى يصفقون؟ إنها اللحظة التي .يتحقق فيها التناغم

تكتمل التجربة .وهو يستخدم تلك التشبيهات الجمالية .وفي مثل هذه العمليات، ومثل هذه الأحداث، يكون .الخير هو ما يساهم في هذا الرضا

.الخير وسيلة لتحقيق الجمال، وهذا ما يراه وايتهيد تحديداً .فأخلاقه أخلاق نفعية

الخير وسيلة لتحقيق غايات جمالية .والشر هو المعارضة المجزأة والعابرة لهذا الانسجام .إما بسبب مقاومة .الهدف الناشئ بتوليفه العظيم، أو بسبب تفاهة مطلقة تُصبح مملة

نعم، الرواية المملة رواية سيئة .والمحاضرة المملة محاضرة سيئة .والمحاضرة التي تحتوي على تفاصيل .دخيلة تعيق سير الأحداث، هي محاضرة سيئة أيضاً

لكن الكثير مما نسميه شرًا ليس إلا صراعًا بين أضدادٍ ستُوَحَّد في عملية التوليف .فعندما تحدث وايتهيد عن ابنه، الذي كان طيارًا في سلاح الجو الملكي البريطاني خلال الحرب العالمية الأولى، والذي كان يُعرف آنذاك باسم سلاح الطيران الملكي، والذي أصبح فيما بعد سلاح الجو الملكي البريطاني، والذي أُسقطت طائرته في معركة جوية فوق خنادق فرنسا خلال الحرب العالمية الأولى، تحدث عن حياته التي بلغت خاتمةً جميلةً باندماجها في التاريخ .ما هي مشكلته مع الشر؟ لاحظ، إن شئت، التفاؤل والمثالية التطورية التي سادت القرن .التاسع عشر

حسنًا، كما ترى، فإن هذا الوصف لحدثٍ ما، كالتجربة الإدراكية، هو وصفٌ لحياة الإنسان .إنه وصفٌ لتاريخ ،البشرية جمعاء، ولتاريخ الكون بأسره .أترى ؟ وتذكر أن فئة التفسير المطلق، لنقل الفئة التفسيرية المطلقة .هي الإبداع

.كيف ينبثق الجديد من صراع الأضداد .كيف يولد حدثٌ حدثاً آخر .في الموت، نحيا

حسنًا، إذا كانت هذه هي طبيعة عملية العالم، العملية الإبداعية، كما هي في الواقع وكما يراها، العملية الإبداعية، عملية العالم، فماذا يقول ذلك عن الإنسان؟ حسنًا، يقول ذلك إن الإنسان هو في جوهره ما قاله ديفيد هيوم عن الهوية الشخصية .تذكر أن هيوم قال إن الهوية الشخصية كما نعرفها في الوعي هي ببساطة مجموعة من الإدراكات .إن الذاكرة الحالية للتجارب الماضية، تلك المجموعة من الإدراكات، هي الهوية .الشخصية الوحيدة التي يمكنك وصفها

،بالطبع، يُطيل وايتهيد هذه التصورات على مدى فترة زمنية .لكن استمرارية التجارب هي التي تُعطي الهوية بحيث تنظر إلى صورة لنفسك قبل عشر سنوات وتقول :نعم، هذا أنا .ومن ثم يمكنك التماهي معها بفضل .هذه الاستمرارية

لكنّ الإنسان، كما يقول، ليس إلاّ مجتمعًا من الأحداث ذي بنية موحدة .مجتمع من الأحداث .لكن ما نريد .الوصول إليه اليوم، ماذا عن الله؟ الآن، انظر إلى هذه العناصر الثلاثة لكلّ الأحداث

تذكر أن الله، بالنسبة لوايتهيد، ليس استثناءً من هذه العموميات الميتافيزيقية، بل هو المثال الأمثل .لذا .يُتصور الله على صورة التجربة الحسية

،أو بعبارة أخرى، يُفهم الله من خلال تجربة كونه إلهاً .الوعي الذاتي هو العدسة التي تُسقط على المطلق .الآن . ماذا يعني ذلك؟ حسناً، يقول إن هناك ثلاث مراحل في طبيعة الله

إذا شئت، فإن طبيعة الله الثلاثية فيما يتعلق بأي حدث .حسنًا، إليك طبيعة أي حدث .وهناك ثلاثة .جوانب، فهناك طبيعة ثلاثية لله فيما يتعلق بالطبيعة الثلاثية للحدث

إنّ طبيعة الله الثلاثية ليست سوى مثال آخر على حدث ثلاثي الأبعاد .أترى ؟ بعبارة أخرى، الكائن الذي .نسميه الله هو كأي كائن آخر، حدث

.حدث أبدي .أترى ؟ حدث بلا بداية ولا نهاية .حدث أبدي

.ما يتحدث عنه في هذه الطبيعة الثلاثية هو الطبيعة البدئية لله .طبيعته البدئية .طبيعته اللاحقة

والطبيعة المُركّبة .حسناً؟ الآن، تعلمتَ ليس فقط حفظ معاني الكلمات، بل استنتاجها عند رؤيتها .وكلمة ."تعني الفعل "يرمي "أو "يلقي (yakio) اللاتينية " superjective"

.رائع، فوق، تشغيل .أجل .لذا، فمن طبيعة الله المتعالية أن الله، كما يُقال، يُعطي شيئًا للطبيعة

للعالم .لكن طبيعة الله المترتبة على ذلك، هي أن الله يأخذ شيئًا من العالم .أترى ؟ لذا عليك أن تبدأ بطبيعة الله البدئية لتعرف، إن صح التعبير، ما الذي يبدأ به الله وكيف يؤثر حدث ما فيه، ثم ما الذي يرده الله إلى .ذلك الحدث

.لأن هذه هي الحقيقة .فما هو أبدي هو طبيعة الله الأزلية .هذا لا يتغير أبداً

.هذا لا يتغير أبداً .الطبيعة الناتجة، والطبيعة المتعالية ، هما اللتان تتغيران .أما الطبيعة البدئية فلا تتغير أبداً

.ما هي الطبيعة البدئية؟ إنها التناغم المنظم لجميع الأشياء الأزلية .الأشياء الأزلية هي الاحتمالات الأزلية بعبارة أخرى، ما يقوله هو أنه يجب عليك أن تفكر في الله باعتباره المجموع الكلي لجميع الاحتمالات .المنطقية

والآن، ضع هذا في اعتبارك .ثم انظر كيف يتردد صداه مع الماضي .فبالنسبة للقديس أوغسطين، فإنّ الأسس الأبدية "، تلك الأشكال الأبدية، المُثُل الأبدية، أشكال أفلاطون، ما هي؟ إنها إمكانيات مفاهيمية في" .ذهن الله، نماذج أصلية في ذهن الله

بالتأكيد، هذا ما استقاه أوغسطين من آباء الكنيسة الإسكندريين، من تقليد الكلمة في الكنيسة الأولى الذي تأثر بشدة بالأفلاطونية الوسطى .وكما تتذكرون، من بين التأثيرات الثلاثة التي ناقشناها في المرة الماضية على فكر وايتهيد، كان آباء الكنيسة الإسكندريين هم التأثير الثالث .لذا، في الواقع، ما يفعله وايتهيد هو استلهام نظرية المُثُل الأفلاطونية كما تُرجمت عبر الأفلاطونية الوسطى إلى لغة الكلمة عند الرواقيين، وهي اللغة التي تبنتها الكنيسة المسيحية وطبقتها على الله الخالق والكلمة المتجسدة التي تكمن فيها كل كنوز الحكمة .والمعرفة، نعم، كل العقليات الأبدية ، كل المُثُل

،هكذا فسروا علمه المطلق .هكذا كان الأمر في التراث الإسكندري، عند يوستينوس الشهيد، وأوغسطين .وأنسلم، وتوما الأكويني، أي التراث القروسطي برمته .لكن وايتهيد يميل إلى العودة إلى الإسكندريين

إذن، عند التفكير في الله وتجربته، تجربة الله نفسه، عليك أن تتأمل في تفكيره في هذه الأفكار، وحكمته الأزلية، وإمكانيات خلقه .الآن، بينما تتطور الطبيعة والعالم وتاريخه، تتشكل الأحداث الطبيعية، والله، الذي .هو كل شيء، يختبر العالم .ويمكنه أن يتأثر بما يجري فيه

.إذن، الله يشعر بما يجري .إدراك الله لا يزعزعه .الله يشعر معنا

هذه هي اللغة التي يستخدمها وايتهيد باستمرار .سأقرأ لكم بعضًا منها بعد قليل .إذن، هناك هنا الفهم .المفاهيمي للإمكانيات

هنا، يوجد ما أسماه الإدراك المادي للبيانات الموضوعية، لما يحدث .أترى ؟ والله، الذي يختبر بهذا المعنى العاطفي ما يجري في العالم، بينما يعلم بشتى أنواع الاحتمالات الأزلية للتناغم المفاهيمي، ماذا يفعل؟ .بطبيعته المتعالية ، يقدم احتمالات لعملية العالم .أجل، الله هو الذي يوفر الهدف الذاتي الأولي

الله، ليس قوة آلية عمياء، بل الله .وبالطبع، في التجربة الإنسانية، يبدأ المرء بإدراك أن للبشر حرية مقاومة .إرادة الله، وحرية تعديل ما يقدمه الله في جوده كهدف وغاية

إذن، تتوافق طبيعة الله البدئية مع العنصر الثاني في الحدث الطبيعي .وتتوافق طبيعة الله اللاحقة مع العنصر .الأول في الحدث الطبيعي .وتتوافق طبيعة الله العليا مع العنصر الثالث

أي بمعنى آخر، الثالث، الذي يقود بدوره إلى أحداث مستقبلية .وهكذا، مع اقتراب الحدث التالي، كما لو كان استعارة بشعة، فإن الطبيعة البدئية لله تشمل جميع الاحتمالات لهذا الوضع الجديد .أترى ؟ نعم، لأن .الاحتمالات الكلية تشمل الاحتمالات التي قد تنشأ في أي وضع جديد

.إذن، الطبيعة البدائية موجودة دائمًا مع وجود أشياء احتياطية .قلتُ الحدث التالي الذي سيأتي لاحقًا .بالطبع، الأمر لا يتعلق بتسلسل الأحداث

.صفير .انتبه، ها هو واحد آخر قادم .صفير

.لا، ليس الأمر كذلك .بل هو أشبه، حسنًا، بما أنني استخدمت أصواتًا، بسيمفونية بالغة التعقيد لكنها رائعة أو إذا أردت استخدام خيوط، فهو أشبه بكابل هاتف بيل شديد التعقيد، يستغرق إصلاحه أسبوعًا كاملًا عند .حدوث عطل فيه

كما ترى، تتشابك الأحداث وتتداخل، وتتعدد روابطها .لكن، تبسيطًا للأمر، يحلله من منظور أن حدثًا واحدًا .يؤدي إلى آخر .فما نوع الإله الذي يُنتجه هذا؟ حسنًا، إنه إله يُدبّر شؤون الكون

يقول إن الله هو مبدأ النظام .أو بتعبيره، الله هو مبدأ التجسيد .الآن، عندما تنظر إلى كلمة "التجسيد"، أظن .أنك تفكر في المادة الملموسة

لا، لا تفعل .لا تأخذ كلامه على محمل الجد، ولا مصطلحاته التقنية .يبدو أن مصطلح "التكلس "هو مرادف .لكلمة "الترسّب"

،فهي فعل "Cresco" تعني النمو معًا .أما "concresescence" وسواءً أكنتَ مُلِمًا باللاتينية أم لا، فإن كلمة .Cresco" بمعنى النمو معًا .وكان هناك نوع من الدهون المستخدمة في الطبخ يُسمى "con" بمعنى النمو، أو"

في هذه الأيام التي يزداد فيها الوعي بالدهون، أصبحت جميعها سائلة بدلاً من صلبة .كان الكريسكو دهنًا .يُستخدم في الطهي ويساعد على ارتفاع الكعك .وهكذا نشأ التماسك

إذن، الله هو مبدأ التكوين والتشكل .هو الذي يُبقي النمو مستمرًا في تناغمٍ بديع .لاحظ أن الله ليس هو خالق .الكون

.الله ليس هو منشئها .فئة الإبداع هي الفئة المطلقة .لطالما وُجد الإبداع

المثال الأبرز هو الله .لكن يبدو أن وايتهيد يعتقد بوجود عمليات طبيعية مستمرة، بشكل أو بآخر، منذ .القدم .ولا يوجد في فكر وايتهيد ما يدعو للاعتقاد بأن الله كان أول هذه العمليات

أظن أن عنوان محاضرة الغد، "الله والانفجار العظيم"، سيكون مختلفًا تمامًا بالنسبة للاهوتي المتأثر بفلسفة وايتهيد عنه بالنسبة للمؤمن التقليدي .فهو لا يفكر في الله ؛ لا يعتبره خالقًا، ولا يعتبره إلهًا مُنهيًا .أظن أن هذا .مصطلحٌ من الخيال العلمي الآن

.الله يُنهي الأمر .بعبارة أخرى، ليس لديه علم آخر الزمان .ليس لديه علم آخر الزمان

.نهاية الأمر .تقول غائية بدون أخروية؟ أجل .الغائية تستمر وتستمر وتستمر وتستمر، ثم تستمر

.إذن، يتشكل الانسجام باستمرار .وهو انسجام أبدي .أترى ؟ أجل

.إنه انسجام أبدي .لذا فهو لا يعتقد أن للتاريخ غايةً يسعى إليها .الله هو مبدأ التجسيد، ومبدأ النظام

.ويصف الله أيضاً بأنه مبدأ التحديد، لأنه بحكم طبيعته المتعالية ، لا تتوفر إلا احتمالات محدودة

إذن، لن ينهار النظام الكوني من تلقاء نفسه في نظر وايتهيد .لا يمكن أن يحدث ذلك، إن لم يكن هذا .الاحتمال وارداً .فطبيعة الله الذاتية لا تسمح بمثل هذه الاحتمالات

إذن، تلاحظ أن تركيزه ينصب على إبداع الله، الذي يمارسه بعناية فائقة في توفير غاية ذاتية أولية في كل حدث، مهما كان صغيرًا أو كبيرًا، في مجمل عملية الكون .وبهذا المعنى، فإن الله أيضًا حدث، الحدث المُدرَك في كل شيء .أترى ؟ إنها ليست وحدة الوجود، وليست أي شكل من أشكال الإيمان التقليدي الذي يجعل الله .خالقًا

يرى بعض علماء اللاهوت العملي، كما سنرى بعد قليل، أن هذا نوع من وحدة الوجود .فكل شيء يحدث . ضمن تجربة الله .لكن الحدث، تجربة الله الشاملة، هي أكثر بكثير من عملية العالم برمتها

إذن، وحدة الوجود .قد يتبادر إلى ذهنك الآن سؤال، كما يفعل أحد أصدقائي كلما تذكرته وهو يناقش هذا النوع من الأمور :ما هو المُدرِك؟ ما هو المُدرِك؟ فيجيب وايتهيد :حسنًا، في حالتك، بصفتك مُدرِكًا، ما الذي ليس مُدرِكًا؟ ما هو الشخص؟ كما ترى، الشيء الوحيد الذي يمكننا قوله هو أن الشخص عبارة عن سلسلة .من الأحداث ذات وحدة وانسجام في مجملها .هذه هي نظرية الذاكرة للهوية الشخصية

أترى ؟ لأن هذه فلسفة عملية، وليست فلسفة جوهرية .لا تبحث عن مادة، أو شيء مادي ، أو كيان، أو .شيء يفكر ويشعر .لا، ليس شيئًا يفكر ويشعر، بل التفكير والشعور

.هذا هو الواقع .هكذا يتضح الأمر .دعني أقرأ لك بعض ما يقوله وايتهيد حتى تستوعب الفكرة

.هذا هو عمله الرئيسي، "العملية والواقع ."وفي نهايته، يوجد قسم عن الله والعالم .وهذا هو

في الفترة التكوينية الكبرى للفلسفة التوحيدية، التي انتهت بظهور الإسلام، وبعد تطور متواصل بالتوازي مع .الحضارة، برزت ثلاثة تيارات فكرية .كما تعلم، من الملاحظ كثرة حديثه عن الثلاثة .تلك الثالوثات الجدلية

أرأيت ؟ تبرز ثلاثة اتجاهات فكرية، تُصوّر، على التوالي، الله بصورة حاكم إمبراطوري، ثم بصورة تجسيد .للطاقة الأخلاقية، وأخيرًا بصورة مبدأ فلسفي مطلق، وذلك من خلال تنويعات عديدة في التفاصيل

والآن، ما الذي يدور في ذهنه؟ يمكن ربط هذه المدارس الفكرية الثلاث، على التوالي، بالأباطرة ذوي النزعة .الإلهية .تذكر كيف تم تأليه الأباطرة الرومان لمجلس الشيوخ الروماني؟ لقد أصبح إلهًا، كما قيل عن أحدهم .الحاكم الإمبراطوري

الله، الحاكم الإمبراطوري .التجسيد الثاني للطاقة الأخلاقية هو الأنبياء العبرانيون .أما الثالث، فهو المبدأ .الفلسفي الأسمى، أرسطو

لكن أرسطو سبقه الفكر الهندي والبوذي، ويمكن إيجاد أوجه تشابه بين أنبياء العبرانيين وآثار فكر سابق .أما الإسلام والأباطرة الإلهيون، فهم لا يمثلون سوى أكثر أشكال الرمزية الإلهية الطبيعية والواضحة والوثنية في

جميع العصور والأماكن .ويُظهر تاريخ الفلسفة الإلهية مراحل مختلفة من الجمع بين هذه الطرق الثلاث المتنوعة لمعالجة هذه المسألة.

لكن هناك أصل جليلي للمسيحية .ليس غاليليو، بل الجليل .حسناً، الأصل الجليلي للمسيحية.

ثمة اقتراح آخر لا ينسجم مع أي من المحاور الرئيسية الثلاثة .فهو لا يُركز على قيصر حاكم، أو واعظ أخلاقي قاسٍ، أو مُحرك لا يتزعزع .بل يُركز على العناصر الرقيقة في العالم، التي تعمل ببطء وهدوء بفعل الحب.

ويجد هذا الملكوت غايته في الحاضر المباشر، في ملكوت ليس من هذا العالم .لا يتطلع إلى المستقبل ، بل يجد جزاءه في الحاضر .ملكوت الله بينكم.

كل عصفور يسقط يُرى .شعرات رؤوسكم جميعها مُحصاة .بالنسبة لبعضكم، هذه مهمة أصعب بكثير من غيركم.

إذن، الله بهذه المصطلحات .وهو، كما ترى، ليس متأثرًا باللاهوت المسيحي، بل بصورة يسوع كما كانت في تقليد لاهوتي ليبرالي معين يُشدد على يسوع كرجل محبة .لقد كان نشطًا جدًا في شبابه، نظرًا لخلفيته.

لننظر إذن، 346 .نعم، نتصور صبر الله وهو يُنقذ برحمته اضطراب عالم وسيط بإتمام طبيعته .ليس دور الله هو الصراع بين القوى المنتجة، أو بين القوى الهدامة.

يكمن الأمر في قدرة المريض على توظيف العقلانية الفائقة في تناغمه المفاهيمي .ما هي هذه العقلانية الفائقة؟ إنها أولوية الطبيعة البدئية، التي تمثل تناغمه المفاهيمي مع جميع الاحتمالات .ومن هنا، قدرته على توظيف كل شيء معًا نحو الخير.

إذن، لنرَ، صبر الله، أجل .تُهمَل ثورات الشر المدمر، الأنانية البحتة، وتُعتبر تافهة .ومع ذلك، فإن الخير الذي حققته في الفرح والحزن الفرديين من خلال إدخال التباين الضروري، يُحفظ من خلال علاقته بالكل المكتمل.

الصورة هي صورة عناية فائقة لئلا يضيع شيء .الله لا يخلق العالم، بل يحفظه، أو بتعبير أدق، هو شاعر العالم بصبره الرقيق يقوده برؤيته للحق والجمال والخير .ويتحقق التوفيق بين الثبات والتغير عندما يصل الخلق إلى غايته النهائية، أي خلوده.

إذن، هذا هو الأمر .يتحدث عن القيادة بالحب، ويُسهب في الحديث في موضع ما، بل في حديثٍ مُطوّل، في أحد كتبه، عن الحب، الذي يعتبره إيروس .هذا ما ورد في كتاب "مغامرات الأفكار".

الحب، الذي يعتبره إيروس، وليس أغابي، بل إيروس .لأن إيروس هو المصطلح الأفلاطوني للحب، وهو ماذا؟ حب الخير، كما ترى .لذا، فمن خلال هذا الحب الشامل للخير يتصرف الله.

إنها رغبة في الخير، كما ترى .وهي التي تنتشر في الهدف الأولي الذي وضعه الله، الهدف الذاتي الأولي .إنها رغبة في الخير.

وتذكر كيف أن الغايات في العصور الوسطى ، كما ترى، كانت للطبيعة كلها ميلها الطبيعي نحو الخير الطبيعي. وحتى البشر الذين يخطئون في فهم الخير ما زالوا يرغبون فيه، حتى وإن قالوا" :الشر خيري"، ما زالوا يرغبون فيه .إذن ، هو يحاول استعادة تلك الغائية بهذه الطريقة.

حسنًا، هل لديكم أي تعليقات أو أسئلة؟ ذكرتم سابقًا أن مسار العالم مستمر .هل يندرج المجيء الثاني ضمن .هذا؟ لا، لا .في الواقع، لا يندرج التجسد أيضًا ضمنه

كما ترى، هو يتحدث عن يسوع التاريخي، لا عن الشخص الثاني المتجسد من الثالوث .لذا، وكما هو الحال عند هيغل، كذلك عند وايتهيد، فإن المفاهيم اللاهوتية المسيحية ليست سوى رموز .لا ينبغي اعتبارها .صحيحة من الناحية المفاهيمية، كما ترى

تذكر، عند هيغل، أنك تجد الثلاثية الأخيرة بروحها المطلقة، تنتقل من الفن إلى الدين إلى الفلسفة .فبينما .يُعد الدين تعبيرًا رمزيًا، فإن الفلسفة هي التي تُجسده في مفاهيمه .لذا، فإن الحديث الديني هو حديث رمزي

،إذن، يرمز التجسد إلى ماذا؟ إلى فعل الله المحب الوشيك في التاريخ والطبيعة .في الواقع، قبل بضع سنوات درّستُ ندوةً حول وايتهيد ولاهوت العملية، حيث كان كل طالب في النصف الثاني من الفصل الدراسي، بعد دراسة وايتهيد، مسؤولاً عن أحد لاهوتيي العملية في القرن العشرين، وعن آرائه حول مواضيع لاهوتية رئيسية .محددة

ولا أعتقد أننا وجدنا أي شخص قدم تفسيراً تقليدياً للتجسد .لطالما كان رمزياً .وينطبق الأمر نفسه على .العقائد المسيحية الأساسية الأخرى

،لن أقول إنه مستحيل .ولم أقرأ كل ما طلبت منهم قراءته، بل طلبت منهم قراءة ما أريد .وهذا، كما تعلمون .هو أفضل سبب لتقديم ندوة

اطلب من الآخرين القيام بالبحث نيابةً عنك .أحياناً أتمنى لو أستطيع العودة والقيام به بنفسي .كنتُ أقول .لأحدهم إنني عندما أتقاعد، سأختار كتاباً لوايتهيد لأقرأه

أقرأ أعمال وايتهيد، وأعمل عليها بشكل متقطع منذ أربعين عاماً .أودّ أن أُنجز هذا العمل .لكن من بين الأمور .التي أرغب في القيام بها هو الاطلاع على كل تلك المؤلفات التي تراها

. وانظر إن كان هناك من يتجاوز وايتهيد في هذا الصدد .ربما .لكن من المؤكد أن هذا غير واضح في الأدبيات

أتساءل، وأنا أصف هذا الإله، حتى في استخدام الضمير .أعني، لا يبدو الأمر كذلك .لكنني أعتقد، أعتقد أنه .يجب العودة إلى تعريفه للشخص

أجل، ما الذي يقلقك؟ مصطلح "الله"؟ استخدامه؟ هو؟ أجل، أجل .إذاً، هذا سؤال وجيه .هل يقصد أن .الله في الواقع كيان واعٍ ومدرك لذاته؟ أعتقد ذلك

لكن من جهة أخرى، ينتابك شكٌّ طفيف .هل يُعقل أنه يستخدم ذلك للإشارة إلى درجة من التأثير قادمة من .شيء ما؟ الله؟ تقول إنه يتحدث بهذه الطريقة لأنها طريقته في الحديث عن كل شيء .النموذج هو الوعي

لا، أعتقد أنه يقصد الوعي .ويبدو أنه يتحدث بهذه الطريقة في بعض المحادثات المسائية التي سُجّلت .وكُتبت بعد وفاته .يبدو أنه يتحدث بهذه الطريقة

.أجل .دعني أوضح هذه النقطة، أعتقد .قد يساعد هذا في توضيح الأمر

بالنسبة لوايتهيد، على عكس توما الأكويني مثلاً، الذي يرى أن الله هو السبب الفاعل للخلق، والسبب الصوري للخلق، والسبب الغائي للخلق .أليس كذلك؟ لا يوجد سبب مادي لأن الخلق من العدم .أما عند وايتهيد، فيبدو لي أن الله هو السبب الصوري والغائي، وليس السبب الفاعل.

الله هو العلة الصورية بمعنى أن طبيعته البدئية تتصور كل الاحتمالات المنطقية والنظام المنطقي .حسناً؟ وهو العلة الغائية بحكم طبيعته العليا التي بها يجذب الأحداث .وهذا هو مصطلحه، الجذب.

أنا لست صياداً، لكنني أعرف ما هو الطعم .إنه لا يركل السمكة في ذيلها، بل يجذبها.

إنّ الإغراء غايةٌ نهائية، لا غايةٌ فاعلة .لذا، فإنّ ما يهمّ في الغاية النهائية هو الطريقة التي يُحقق بها الإغراء النجاح، والطريقة التي يُحقق بها المثل الأعلى النجاح .وهكذا، فإنّ علاقة الله بالعالم، عند وايتهيد، هي علاقة غاية صورية وغاية نهائية، لا علاقة غاية فاعلة.

وهذا يعني أن الله لا يتدخل .إذا كنت تقصد بالتدخل ما يُقصد في التاريخ التوراتي، أي أعمال الله العظيمة في تاريخ بني إسرائيل.

إنّ الفعل الإلهي العظيم في التجسد أو في المجيء الثاني، كما تزعمون، ليس فعلاً إلهياً .كلا، الله لا يتدخل. وأعتقد أن طبيعة ميتافيزيقاه الأساسية تمنع الله من التدخل.

في الواقع، كتبتُ مقالاً عن وايتهيد قبل بضع سنوات بعنوان "لماذا لا يستطيع الله أن يتدخل؟ ."وهو موجود في كتاب بعنوان "لاهوت العملية"، من تحرير رونالد ناش.

إنها موجودة في المكتبة .ويبدو لي أن سبب عجز الله عن الفعل هو أن إله وايتهيد هو في جوهره إله هيغلي. إنه إله، على سبيل المثال، شلايرماخر، الذي هو أقرب إلى كونه أساسًا للوجود منه إلى كونه فاعلًا شخصيًا.

كما ترى .وهكذا ، كما لو أن فئات الوكالة هذه للتمثيل لا تنطبق، بل فقط أساس الوجود الذي تعتمد عليه.

الأساس المطلق الذي يؤثر على الطبيعة بشكل غير مباشر .وهكذا، كما هو الحال في اللاهوت الليبرالي في القرن التاسع عشر، لا يوجد وحي خاص .كل شيء كامن من الداخل.

ليس الأمر خارقاً للطبيعة .إنها عملية طبيعية تماماً بفضل الإبداع الإلهي الكامن فينا .وينطبق الأمر نفسه على وايتهيد.

،إذا كنتَ مُلِمًّا بتاريخ اللاهوت في القرن التاسع عشر، وبالتقاليد الشلايرماخرية ، أي التقاليد الرومانسية فستعرف أن وايتهيد هو المقصود .وكما ذكرتُ، يبدو أن وايتهيد قد قرأ ووردزورث كما لو كان الكتاب المقدس.

أتتذكر تلك العبارة من المرة الماضية؟ أعتقد أن هذه نسخة رومانسية من لاهوت القرن التاسع عشر، تظهر في ميتافيزيقا عملية القرن العشرين .هل يمكنك فقط أخذ مبدأ الإبداع، الذي هو جوهر كل الواقع، وإيلائه بعض الاهتمام؟ أجل .أجل.

وهناك بعض علماء اللاهوت الذين يسعون إلى ذلك .بعضهم يحاول القيام بذلك .وأعتقد أنني محق في القول إن تشارلز هارتشورن هو أحد أشهر مفكري هذا المنهج.

لم يتأثر هو شخصياً بوايتهيد، بل تطور بالتوازي معه .وقد درّس في جامعة هارفارد لسنوات عديدة ، ثم في جامعة شيكاغو، ثم في جامعة تكساس بعد تقاعده .فعل هارتشورن ذلك.

بشدة بوحدة الوجود ، وقد يكون كذلك لو اعتبر الإبداع إلهًا .لقد أثر في الكثيرين .ولعل أشهر لاهوتيّ في مجال اللاهوت العملي اليوم هو جون كوب، الذي أعتقد، وأنا محق في ذلك، أنه يعمل في كلية كليرمونت اللاهوتية في كاليفورنيا.

جون كوب .لكن الكثير منهم موجودون .ليس لدينا وقت للحديث عنهم الآن.

حسنًا .في المرة القادمة، ما أود فعله، وهذا نمط سنتبعه في هذه الكتب التي تقرؤونها، هو تقديم بعض التعليقات على كتابه "العلم في العالم الحديث".

لذا أحثكم على قراءته .ربما ليست قراءة كافية لكتابة مراجعة .لكن اقرأوه، وسنقدم بعض التعليقات عليه، ويمكننا مناقشة الأمور التي ترغبون في الحديث عنها حينها.